عدد ٢١ السنة الثانية

# المنار

١٣١٥

في يوم السبت ٢٨ ربيع الاول سنة ١٣١٧ الموافق ٥ اغسطس (آب) سنة ١٨٩٩

## ﴿ الجنسية والدين الاسلامي ﴾

البداوة في النوع الانساني سابقة على الحضارة ولكن الانسان مدني بالطبع ميال للاجتماع بالفطرة وقد كان مبدأ اجتماعه تكوّن الشعوب والقبائل بالعصبية النسبية فكانت هي مناط الجنسية ثم صعد النوع في سلم الارتقاء الاجتماعي فاتسعت دائرة جنسيته فكان مناطها اللغة وكما كانت تتألب القبيلة التي يجمعها نسب واحد وتزحف لقتال قبيلة أخرى من أهل لغتها الأقل عدوان يقع بين أفراد القبيلتين صارت تتألب القبائل الكثيرة التي يرتبط بعضها ببعض برابطة اللغة ويلتحم بلحمتها على قتال الاجناس التي تجمعها لغة أخرى غير لغتهم وبهذه الجنسية تكونت الامم فكان منها العربي والتركي والفارسي والهندي والصيني الى غير ذلك

ما كانت عناية الله تعالى بالانسان لتقف به عند هذا الحد من الاجتماع والتمدن بل أعطاه سلماً ليعرج عليه الى الأفق الأعلى من المدنية وسعة دائرة الاجتماع وهو المعبر عنه بناموس الارتقاء العام ولما استعد بمقتضى هذا الناموس لامتزاج بعض اجناسه ببعض ومؤاخاة العربي للعجمي والرومي

للفارسي منحه رابطة أعلى من جميع روابط الاجتماع ـ رابطة تضم متفرق العناصر واشتات الاجناس وتصوغها فتجعلها عنصراً واحداً ـ رابطة يمكن لكافة البشر ان يكونوا بها امة واحدة واخواناً على سرر متقابلين . هذه الرابطة هي الديانة الاسلامية التي بني اساسها على الوحدة في الاعتقاد والتهذيب والاحكام القضائية والمدنية ـ التي يخاطب قرآنها البشر كافة بقوله (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) ويخاطب اهل الكتاب خاصة بقوله ( يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون )

ماكان ليعزب عن شارع هذا الدين ـ وهو عالم الغيب والشهادة ـ ان الناس لايعتنقونه مرة واحدة وان هذا موجب الاختلاف والتفريق وهو انما وضع للوفاق والتوحيد ولذلك جعل الرابطة ذات طرفين طرف يمكن ان يضم جميع البشر على اختلاف مذاهبهم وعقائدهم وهو كونهم يحكمون بشريعة واحدة عادلة تساوي بين مؤمنهم وكافرهم ومليكهم وصعلوكهم وغنيهم وفقيرهم وقويهم وضعيفهم وهذا الطرف هو طرف الجامعة الدنيوية ويمكن لاهله ان يعملوا لاحراز سعادة الدنيا بالاشتراك حتى يصلوا الى الغاية التي في استعدادهم الوصول اليها. والطرف الثاني هو طرف الجامعة الروحية الاخروية وهو يؤلف بين الآخذين بهذا الدين تأليفاً روحياً زائداً عن ذلك التأليف الجثماني ـ تأليفا جرثومته وحدة المعتقد والايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وغذاؤه الاخلاق الفاضلة والعبادات الكاملة وثمرته

الاخاء الصحيح وجعل المؤمنين في تضافرهم وتعاونهم على البر والتقوى كالبنيان يشد بعضه بعضاً وكالجسم الواحد اذا اشتكى له عضو تداعى له سائر الجسد

لاتحقرن امر الرابطة الاولى رابطة الشريعة العادلة فهي على كونها اعم من رابطة اللغة وأشمل قد كانت أقوى وأكفل . كان ابناء اللغة الواحدة والدين الواحد يفرون من هجير ظلم قومهم المشاركين لهم في جنسيتهم ويستظلون بظل العلم الاسلامي الظليل حتى ان الروم في بلاد الشام لما رأوا في اثناء الفتوح وفاء المسلمين لهم وحسن سيرتهم فيهم صاروا عوناً لهم على قومهم وعيوناً للمسلمين عليهم يتجسسون لهم الاخبار ويوقفونهم على الاسرار. جاء في رسالة الجزية التي نشرت في المجلد الاول من المنار ان اباعبيدة ( رضي الله عنه ) لما اراد ان يشخص من حمص الى دمشق لتأليب الروم على المسلمين وجمعهم لهم امر حبيب بن سلمة ان يرد على القوم ما كان اخذه المسلمون منهم من الجزية فرد عليهم ذلك وأفهمهم بان الامير أبا عبيدة يقول ما كان لنا ان نأخذ اموالكم ولا نمنع بلادكم ( اي ان اخذ المال هو بازاء الحماية وقد عجزوا عنها في ذلك الوقت لاضطرارهم الى الخروج من البلد فردوا عليهم المال ) فقال اهل البلد ( ردكم الله الينا ولعن الذين كانوا يملكوننا من الروم ولكن والله لو كانوا هم ما ردوا الينا بل غصبونا وأخذوا مع هذا ما قدروا عليه من اموالنا ) . هذه الرابطة مناط للجنسية اتخذه الاوربيون احبولة لصيد الامم والشعوب التي ثقلت عليها وطأة ظلم حكامها فنجحوا مع بعدهم عن العدل الصحيح والمساواة اللذين كان عليهما المسلمون عندما كانوا متمسكين بدينهم وحاكمين بشريعتهم . ولكن هذه الرابطه مهما كانت وثيقة وقوية فهي لن تبلغ مبلغ رابطة وحدة الاعتقاد بعروة الاسلام الوثقى التي لاانفصام لها ولذلك ترى المسلمين

يتململون من سلطة الاجنبي عن دينهم وان كان عادلا ويودون الفرار من ظل علمه ولو لفحهم مثل لهيب جهنم من ظلم المتحدين معهم في الاعتقاد والمذهب . وبهذا لم يكن للمسلمين جنسية في غير دينهم ولا يخضعون باختيارهم سراً وجهراً الا لحكومة شورية تحكمهم بشريعتهم وتقيم حدودها العادلة فيهم مقتفية آثار خلفائهم الراشدين بحيث يكون لديها الخليفة والصعلوك في الحق سواء . لو اهتدت لهذا الامر اية حكومة اسلامية ووفقت للعمل به مع الحكمة من غير زيغ ولا زلل لامكنها ان تجمع كلمة المسلمين في مدة قصيرة . بل لو ان دولة حكيمة كانكلترا اعتنقت الاسلام وأقامت شريعته لتسنى لها امتلاك باقي الشرق وافريقيا كلها

عرف الاوربيون من المسلمين ماذكرنا فانتفعوا بمعرفتهم . اجتهدوا في ازاغة القابضين على ازمة الحكومات الاسلامية عن صراط شريعتهم وادخلوا عليهم القوانين الوضعية فنفرت قلوب الرعايا منهم وكرهت سلطتهم حتى صارت تخرج عليهم . واجتهدوا في حل عروة الرابطة الدينية من نفوس المسلمين باسم المدنية الجديدة التي تسمي التمسك بالدين تعصبا وتمثل هذا التعصب بمثال مشوه قبيح ينفث السموم في الارواح فيقتلها ويعترض دون شمس العلوم والمعارف فيحجب أنوارها (١) وما كان الاوربيون ليتمكنوا من خلابة المسلمين بانفسهم فيجعلوا اسم التعصب ( بمعنى التمسك بالدين ) بينهم سبة وعارا ويتخذوا هذا ذريعة لفصم عروة الدين وتوهين رابطته العامة ولكنهم تمكنوا من فتنة بعض المسلمين الجغرافيين (٢) بمدنيتهم واتخذوهم

(١) قد شرحنا حقيقة هذه المسئلة في مقالات نشرت في أعداد السنة الاولى للمنار فلتراجع

(٢) أعني بالمسلمين الجغرافيين الذين يعدون في اصطلاح الجغرافيا مسلمين وهم كل

أعوانا لهم على كل ما يقصدونه من المسلمين . يردد المصريون الشكوى مع التوجع والتألم من المستر دنلوب سكرتير المعارف العام القابض على أزمة المدارس كلها حيث يجتهد في محو معالم اللغة العربية وطمس آثار الديانة الاسلامية من المدارس وجعل رسومها مواثل ودوارس ولا لوم على من يخدم دولته وملته بالصدق والنشاط وانما اللوم والتثريب بل اللعن والتأنيب على الذين رضوا بان يكونوا معاول في يديه لهدم بناء جامعتيهم الدينية واللغوية وهم يعلمون ان هدمهما يعدم جنسيتهم بالكلية . وفي هذا محو الملة والامة من لوح الوجود . هؤلاء هم الذين يجب ان يحفظ التاريخ ذكرهم محفوفاً بالخزي والمقت ملوثاً بقذر الخيانة والغش حيث يحفظ للمستر دنلوب في خدمة ملته اسماً سمياً ويرفعه في صدق وطنيته مكاناً عليا . ويوجد في غير مصر كثير من هؤلاء المارقين

فعلى كل مسلم حقيقي ان يسعى جهده في توثيق الرابطة الاسلامية الروحية بين كل من ينتسب للاسلام في مشارق الارض ومغاربها بان يعرف أهل كل بلاد تاريخ أهل البلاد الاخرى وشؤونها الغابرة والحاضرة وان يكون لهم طرق للتعارف وأمثل هذه الطرق الجرائد والاجتماع في موقف الحجيج العام ومما يقضي بالاسف واللهف ان الحجاج بعد ما يرجعون من أداء الفريضة يقضون أعمارهم في الحديث عن سفر الحج وما لاقوه وجرى لهم فيه ولا نسمع منهم خبراً عن أحوال اخوانهم من أهل الاقطار الاخرى الذين ضمتهم واياهم

---

من ينتسب للاسلام ولو اسما وقد سنحت لي هذه الكلمة في اثناء خطاب كنت ألقيته في جمعية مكارم الاخلاق في القاهرة فقلت يقال ان المسلمين ثلاثمائة مليون او يزيدون وهؤلاء هم المسلمون الجغرافيون أما المسلمون الحقيقيون الذين يفهمون الاسلام حق فهمه ويعملون به فهم قليلون ...

(عرفات) حتى كأنهم لم يشهدوا ذلك الموقف الشريف الذي لم يسم بهذا الاسم « عرفات » الا لانه موقف التعارف بين الشعوب والقبائل « واحسرتاه فقدنا كل شيء حتى معاني أركان ديننا الكبرى وأسرارها وفوائدها » ومن الضروري في هذا ان يكون منا أمة يدرسون اللغات التي ينطق بها اخواننا في كل قطر. أليس من البلاء ان لغة أوردو التي ينطق بها ثمانون مليونا من المسلمين في الهند لا يوجد تركي في الروملي أو الاناضول ولا عربي في العراق أو سوريا أو مصر أو الغرب يتعلمها ليتعرف بها شؤون أولئك الملايين من اخوانه ؟ ونرى الجم الغفير من دعاة النصرانية يتعلمون هذه اللغة وسائر لغات العالم لاجل دعوة أهلها الى دينهم

متى عرف بعضنا تاريخ بعض وتعارفنا بما يمكن من طرق التعارف وتبادلنا الافكار بالجرائد يتسنى لنا حينئذ ان نتفق على وحدة التربية والتعليم وكمال هذه الوحدة انما يكون بتعميم اللغة العربية وعلى وحدة الاشتراك في المشروعات والاعمال النافعة وبهذين الوحدتين تتكون ( الجامعة الاسلامية ) التي اكثر من ذكرها الكتاب وبحثوا فيها من وجوه كثيرة غير محررة فتضاربت أقوالهم وتناقضت آراؤهم

قلنا ان الجامعة الاسلامية لها طرفان أحدهما يضم المعتقدين بالدين الاسلامي ويربطهم برابطة الاخوة الايمانية حتى يكونوا جسما واحداً وقد انحلت هذه الرابطة ولكنها مازالت ولن تزول والطريق الى توثيقها وشدها هو ما قرأت آنفاً . وثانيهما يربط المسلم وغيره من أرباب الملل برابطة الشريعة العادلة التي يحكمون بها جميعا بالمساواة وقد طرأ على هذه ما حل عقدتها في بعض الحكومات وما أزالها في حكومات أخرى . وعلى كل حال

ينبغي للمسلمين في كل قطر ان يسعوا بالاشتراك مع مواطنيهم الذين يحكمون معهم بحكومة واحدة الى كل مايعود على وطنهم وبلادهم بالعمران ويفجّر فيها ينابيع الثروة ـ هذا ما يجب على الامة الاسلامية في احياء جنسيتها بتقوية الرابطتين بقدر الامكان وأما الحكومات الاسلامية وفي مقدمتها الدولة العليه فيجب عليها ان تساعد رعاياها على هذه الاعمال وتسهل لهم سبلها وان تجتهد بتقوية نفسها بالاصلاحات الداخلية والاستعدادات الحربية ليمكنها حماية الحوزة والدفاع عن البيضة وأرى من الضروري لصيانة الدولة العلية من طمع الطامعين ان يسلك مولانا السلطان الاعظم (أيده الله تعالى بروح منه) في جميع الولايات الطريقة العسكرية التي سلكها في طرابلس الغرب وهو جعل كل فرد من الافراد مستعداً للقتال اذا دخل العدو بلاده كما هو الواجب في الدين الاسلامي وان لايحرم ولاية من الولايات من فرسان الألايات الحميدية. فان استعداد الدولة نفسها مهما بلغ لايمكن ان تقاوم به اوربا المتحدة عليها باطنا وان اختلف دولها ظاهراً واما استعداد الرعايا لمصادمة كل قوة اجنبية تدخل بلادهم حتى الفناء فهو يمنعهم من كل عداء. هذا هو رأينا في تكوين الجامعة الاسلامية بالطرق الممكنة ولا سبيل لدول أوربا الى الاعتراض على شيء من ذلك. أما الاصلاحات الداخلية . فأهمها جعل الحكومة شورويه . والعدل والمساواة بين الرعية . وانتقاء جميع الموظفين . من الاكفاء المستعدين . وقد شرحنا رأينا في الاصلاح في مقالات سابقة فلا نعيده (ومن يتق الله) مسترشداً بسننه الكونية وشريعته السماوية (فهو حسبه) وكافيه مايهمه . ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا .